الحركة الأحوازية , غياب الفكر, كثرة الشعارات , تعدد الأهداف

بداية ولقطع الطريق على المتصيدين في الماء العكر اوؤكد على إنني سوف اعتمد في مقالي هذا على شواهد ووقائع تاريخية المبتغى منها دفع الواعين والحريصين على المصلحة الأحوازية إلى النقاش في سبيل تصويب أو تخطأ هذا الرأي أو ذاك حيث نعتقد أن الأبواب المغلقة لا يتم فتحها إلا بالطرق وهذه الكتابات هي طرق على الأبواب المغلقة لفتحها وتدارس الأسباب التي جعلت الحركة الأحوازية تعيش حالة التأخر وعدم الوصول إلى المستوى الذي يتناسب وحجم القضية, كما أنها محاولة في سبيل أغناء الحركة الأحوازية بالرؤى الفكرية التي تلائم واقعنا ومسعانا نحو طرد الاغتصاب والتحرر من الهيمنة الفارسية .

ابتدئ مقالي بحكمة رائعة للإمام علي (ع) يقول فيها (ليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه) وهو بهذه الحكمة قد حدد فريقين من الفراقاء العاملين , الأول المخلص من دون وعي, والثاني الذكي غير النزيه.

هذه الحكمة وجدتها مناسبة لواقع الحركة الأحوازية التي تعيش اليوم التخبط بين الشعارات السياسية وتعدد الأهداف وغياب الفكر الواضح .

كما أنها أيضا تعيش بين المخلص الذي يريد أن يعمل ولكن تنقصه الخبرة والمعرفة وهو يكابر ولا يريد أن يعترف بان في عمله النقصان والخطاء والتقصير, وبين الذكي الذي يعرف ولكن تنقصه النزاهة.

وهنا سوف أحاول أن أقدم بعض من الأمثلة التي ربما تساعدنا على إظهار الرؤية التي نريد أن نقدمها لأبناء شعبنا لكي نخرج من المأزق الذي تمر به حركتنا السياسية التي عجزت عن اللحاق بركب الحركات السياسية المشابهة لها , سواء على صعيد حركات الشعوب الإيرانية أو حركات التحرر العربية .

من الواضح للعيان أن هناك وجود متعدد المسميات للحركات السياسية الأحوازية إلا أنه برغم من وجود هذا التعدد الحركي فان المتابع يلحظ وبوضوح غياب الأثر الحقيقي لهذه الحركات في المجتمع الأحوازي , والذي اقصده هنا غيابها عن فكر وحياة المجتمع الذي يعد تحريره من الاغتصاب وإعادة حقوقه المشروعة الهدف الأسمى الذي تسعى إليه هذه الحركات التي وبالرقم مما بذلته من جهد وتضحيات إلا أن الهوة بينها وبين المجتمع ما تزال شاسعة ولم تستطع من كسرها لحد ألان .

ومن هنا يأتي السؤال الذي يتخيله كل منا وهو أين يكمن الخلل في هذه العلاقة ؟ في الفردالأحوازي الذي هو محور الحركة السياسية ؟ أم في الحركة السياسية التي هي وسيلة المجتمع للتغيير ؟.

لاشك إن السؤال يتحدث عن جهتين يفترض أن تكون العلاقة بينهما علاقة جدلية ولكن المتقدم من السؤال يظهر انفصام في عرى العلاقة بين الجهتين وهو ما يوجب على الباحث إظهاره للقارئ ليتعرف على الأسباب التي جعلت من الحركة الأحوازية ضعيفة في ذاتها وغير قادرة على التأثير في فكر وحياة مجتمعها, ناهيك عن ضعف دورها في الساحة الإيرانية والإقليمية .

وللإجابة على هذا السؤال قد يأتي وبكل بساطة من هو شاطر في اللغو ويعلل هذا التأخر إلى الجوانب المادية وعدم حصول الدعم من الدول العربية وغير العربية وشدة الظلم الذي تمارسه السلطات الفارسية , والى ما ذلك من تبسيط للأمور الذي تعودنا على سماعها من بعض اللغويين

ولكن لو أقررنا جدلا لأصحاب هذا التفسير المبسط بما يقولون فهل هذه المبررات كافية لإقناع السائل بأن التأخر الذي تعيشه الحركة الأحوازية معلول لهذه المبررات فقط , أم أن هناك أسابا أخرى أكثر أهمية وهي تتعلق بالجانب الذاتي للحركة والذي يكمن في المستوى الفكري والثقافي والبرنامج العملي الذي تطرحه والأسلوب الذي عملت وما تزال تعمل به الحركة السياسية الأحوازية؟

لقد بدأت الحركة السياسية الأحوازية عملها منذ اواخر الأربعينيات من القرن المنصرم وما تزال مستمرة وقد تزامن إنشائها مع نشوء حركات سياسية مشابهة في مناطق القوميات والشعوب الأخرى في إيران , ألان أن الفارق الذي ميز تلك الحركات عن الحركات الأحوازية هي قوة ومتانة تلك الحركات وبقائها قائمة حيث نرى انها كلما امتد فيها العمركلماازادت قوة ومتانة في داخلها وقوّت من أواصر علاقتها مع مجتمعها, بينما نجد الحركات الأحوازية التي تبتدئ قوية عند تأسيسها لكنها سرعان ما تضعف مع مرور الزمان حتى تصل إلى الانحلال والتلاشي في أخر المطاف, وفي أحيانا كثيرة دون أن تتعرض لضربة من العدو.

ومن بين الحركات التي يمكن الأخذ بها مثالا للمقارنة هنا , الحركة الكردية الإيرانية, التي نجحت على الصعيد البناء الذاتي وتقويت وتمتين عرى علاقتها بشعبها وتقدمها في طرح قضيتها في المحافل الداخلية والخارجية , وبين الحركة الأحوازية التي بقيت تعيش الأنكفاف والتقلص والعجز في أثبات الوجود الحقيقي بما يوازي وحجم القضية العادلة التي تدافع عنها .

فلو أخذنا الحزب الديمقراطي الكردستاني وتابعنا حركته منذ النشأة وحتى اليوم نجد أن هذا الحزب الذي تعرض لأقصى الضربات من السلطات الإيرانية من خلال تصفية العديد من قادته وكوادره المتقدمة, وبالرقم من تغير الأنظمة في إيران ألا أنه بقي حزبا محافظا لم يغير من عقيدته وأهدافه وقد حافظ على وجوده وطورمن عمله وأصبح أكثر التصاقا بشعبه وقد أصبح يحضى بسمعة واحترام دولي كبير , كما أن منظمة كومولة التي هي ثاني أقدم الحركات الكردية وقد تعرضت هي الأخرى لضربات قاصمة من قبل الأنظمة الإيرانية إلا أنها بقيت متماسكة ومحافظة على عقيدتها وأهدافها ومازالت تتحرك في وسط جماهيرها بشكل قوي سواء على الساحة الداخلية أو الخارجية شأنها في ذلك شأن الحزب الديمقراطي .

لم تخجل منظمة كومولة عندما تقول عن نفسها أنها منظمة شيوعية ماركسية تريد إن تحقق الحكم الذاتي لشعبها وهذا هو مبدأها وعقيدتها منذ قيامها في زمن النظام البهلوي والى اليوم فهي لم تتنازل عن أهدافها ومطالبها رغم تغير الأنظمة , كما أن كومولة لم تتخبط بفكرها لتصبح يوما قومية وبعده شيوعية, وتذهب في يوم أخر إلى أقصى اليمين لتصبح محافظة أكثر من المحافظين أنفسهم, بل أنها بقيت على فكر واحد وهدف واحد , وهذا الوضوح في الفكر والعقيدة والثبات على الهدف قد ضمن لها الاحترام بين جماهيرها وجعلها تستقوي مع مرور الزمان وتتقدم إلى الأمام بتأييد ودعم من الجماهير التي آمنت بفكرها .

وهكذا هو الحزب الديمقراطي الكردستاني فهو حزب محافظ منذ النشأة كان وما زال يسعى لتحقيق الحكم الذاتي لشعب الكردي في إيران, ورغم كل ما أصاب هذا الحزب من مصائب طوال مسيرته التاريخية إلا انه بقي ثابت الفكر والعقيدة ومصرا على هدفه المعلن ولم تغير الاغتيالات التي طالت قادته منذ إعدام القاضي محمد أول قائد للحزب مرورا باغتيال القائد المثقف الدكتور عبد الرحمن قاسملو ومن بعده المرحوم الدكتور فاضل شرفكندي وغيرهم من قادة الحزب وكوادره العليا الذين تمت تصفيتهم على يد المخابرات الإيرانية, رغم هذه الضربات وتغير الأنظمة في إيران إلا أن الحزب بقي متمسك بعقيدته المبنية على المحافظة والوسطية مع الأيمان بالديمقراطية والتعديدية الفكرية والمطالبة بالحكم الذاتي الهدف الذي قام من اجله الحزب.

علما إن هناك حركات أخرى في الساحة الكردية من بينها الحركة الإسلامية بزعامة الشيخ الحسيني وحركات صغيرة أخرى مختلفة الرؤى والأفكار إلا أنها جمعيا متفقة على هدف واحد واضح وصريح وهو الحكم الذاتي للشعب الكردي .

وهنا يأتي السؤال ؟ من الذي مكّن هذه الحركات من الحفاظ على وجودها وساعدها على تطوير عملها وكسب تأييد شعبها ؟ هل هو الدعم الخارجي أم شي أخر يتعلق في البنية الذاتية لهذه الحركات ؟ الم تتعرض هذه الحركات لضربات مؤلمة من قبل الأنظمة الإيرانية؟ فلماذااذن بقية صامدة ولم تحل نفسها؟ ولماذا لم تتكفأ على ذاتها ولم تفقد جماهيرها كما هو حال الحركة الأحوازية ؟ هل القضية التي تدافع عنها الحركة الكردية هي اعدل من القضية التي تناضل من اجلها الحركة الأحوازية ؟ أم أن الشعب الكردي هو أوعى من الشعب الأحوازي بحيث استطاع أن يفهم خطاب وأهداف حركته السياسية بينما عجز الشعب الأحوازي عن فهم ذلك ؟ أم لكون الحركة الكردية هي أوعى من الحركة الأحوازية واستطاعت بوعيها وفكرها إقناع الشعب الكردي بغايتها وعدالة القضية التي تناضل من اجلها , فيما عجزت الحركة الأحوازية عن فعل ذلك لحد الآن ؟

من خلال هذا العرض يجد المتابع وبكل وضوح أن هناك فارق كبير بين الحركة الأحوازية وعلى اختلاف شعاراتها وتعدد أهدافها , وبين الحركة الكردية المختلفة في الأفكار الموحدة في الأهداف حيث نلاحظ في هذه المقارنة غياب الفكر في عمل الحركة الأحوازية , بينما نجده الأصل في الحركة الكردية ,.

لقد كان الفكر ومازال هو السمة الأولى التي تعلوا واجهة الحركات الكردية وهذا هو شأن جميع حركات التحرر الاخري سواء في إيران أو في مناطق أخر من العالم , فقد ربة هذه الحركات جماهيرها على متابعة الفكر أولا وليس الشعار وهوما ضمن لها القوة والبقاء وشد الجماهير إلى القضية التي تناضل من اجلها, فكان الفكر هو الجسر الذي ربط بين الجماهير والحركة السياسية إذن هذا الذي هو ظاهر في الحركة الكردية هو الغائب في الحركة الأحوازية, فالذي يعلو واجهة الحركة الأحوازية اليوم هو الشعار بديل عن الفكر ولذلك أصبح عدد الأهداف على عدد الشعارات, فبما انه لكل حركة شعار فقد أصبح وكأنه من الضروري أن يكون لكل حركة هدف خاص بها أيضا يتحدد وفق شعارها الذي تختلف به مع الحركات الأخرى , ومن المؤسف فقد أصبح ما يوحد الحركات هو اختلاف الأهداف, ولا اعتقد أن هناك إنسان واعي ومنصف يمكن أن ينكر هذه الحقيقة .

أن من ابرز مظاهر التخبط في عمل الحركة الأحوازية ليس افتقادها للفكر وحسب, بل وفقدا نها للهدف الموحد أيضا , فبينما نقرأ في بيان تنظيم من التنظيمات من أن هدفه هو تحرير كامل الأحواز الطبيعية نقرأ في بيان لتنظيم أخر أنه لا يطالب بأكثر من تطبيق المواد المدرجة في دستور الجمهورية الإسلامية والتي تنص على مسألة التعليم وما شابه ذلك ويؤكد على أن العرب هم جزء لايتجزء من الأمة الإيرانية , في مقابل ذلك يأتي تنظيم أخر أيضا ويطالب بحق تقرير المصير الذي يعزو فيه للشعب حرية الاختيار بين البقاء تحت حكم الدولة الإيرانية أو الاستقلال , وفي المقابل هذه الأهداف و من بين هذه التنظيمات يأتي من يرفع مبداء الحكم الذا تي وهو يراه الحل الأمثل , والى أخر القائمة التي تتعدد فيها الأهداف على عدد التنظيمات .

وهكذا هو الأمر بالنسبة للتسميات أيضا فهناك من يسمي نفسه احوازي وأخر اهوازي وهناك من يقول انه عر بستاني وأخر يقول انه من عرب إيران , والكل يدعي انه الأحرص على مصلحة الشعب وهو الحقيقة وغيره على خطأ.

في وسط هذه التزاحم من الأسماء والشعارات والأهداف المتعددة يغيب الفكر ويبتعد الفرد الأحوازي عن الحركة السياسية غير متأثرا بها لا يجد ما يشده إليها خائف من العمل معها, ينظر إليها على أنها مجرد حركة سياسية تتاجر في الشعارات , هذه نظرة الفرد الأحوازي بنسبة لحركته السياسية التي عجزت لحد ألان من تغير الصورة التي رسمها الفرد الأحوازي في مخيلته عن هذه الحركة.

لم تستطع الحركة الأحوازية لحدالان إقناع مجتمعنا من أن العمل السياسي ليس نزهة أوهواية أو خيار, بقدر ما هوامر واجب على كل فرد احوازي أن يقوم به من اجل تحرير أنفسنا من الاغتصاب الفارسي وإعادة حقوقنا القومية المشروعة .

بين واقع الحركة السياسية ونظرة المتجمع الأحوازي لهذه الحركة يبقى الغاصب هو الرابح الأول والمستفيد الدائم من هذا الواقع السيئ الذي نعيشه في الأحواز حركة ومجتمع .
بقيت كلمة أود أن أقولها وهي أن الحماس ليس بديل عن الوعي , كما أن النزاهة شرط أساسي في العمل وهذه احد أهم معوقات الحركة السياسية الأحوازية في الماضي والحاضر وأملي أن تتغير في المستقبل أنشا الله.

صباح الموسوي
25 ايار 2003